

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ فُضَائِلِ التَّوْحِيدِ: الأَمْنُ فِي الأَوْطَانِ، وَأَسْبَابِ المَحَافِظَةِ عَلَيْهِ

الحمد لله الذي بنعمته اهتدى المهتدون، وبعده ضل الضالون، ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾،^١ أحمده سبحانه على هدايته وتوفيقه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا رب لنا سواه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم إلى يوم الدين.

أما بعد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^٢ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً، فأعظم النعم نعمة التوحيد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسلط عدو وغير ذلك؛ فسببه مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم والدعوة إلى غير الله، ومن تدبر هذا حق التدبر وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه وفي غيره عموماً وخصوصاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله) انتهى.

(وعن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أين لا يظلم نفسه؟ قال: «ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَبْنَئُ لَا تَسْرِكْ يَا لَهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»^٣) رواه البخاري ومسلم.

فالتوحيد أعظم أسباب الأمن في الأوطان، ولا تتم سعادة الإنسان إلا بنعمة الإيمان والأمن، فبهما يعبد الناس ربهم، ويأمنون على أموالهم وأعراضهم، ويهنئون بطعامهم وشرابهم، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۖ﴾^٤، وكلما ضعفت التوحيد ضعفت الأمن، وكلما زاد الشرك زاد الخوف، قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ يَمَآ أَشْرَكَوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾.

ومن أسباب الأمن: طاعة الله وعدم المجاهرة بالمعاصي، فإنَّ المعصية إذا خَفِيَتْ لم تُضْرَّ إلاَّ صاحبها، وإذا أُعْلِنَتْ ضُرَّتْ الجميع، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ»، وقال: «ما مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعاصِي، ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا، ثُمَّ لَا يُغَيِّرُوا، إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ» (رواه أبو داود وصحَّحه الألباني).

قال ابن القيم: (وهل في الدنيا والآخرة شرٌّ وداءٌ إلاَّ سببُ الذُّنوبِ والمعاصي) انتهى.
ومن أسباب حفظ الأمن: الشُّكر، فبالشكرِ تدومُ النِّعم، وبكفرِ النِّعمِ تحلُّ النِّقم، قال تعالى: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَوِيَّةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَّاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفَ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٦﴾.

ومن أسباب حفظ الأمن: طاعةُ ولاةِ الأمورِ في المعروف، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَوْلِيَّ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴿٦٦﴾»، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (السَّمْعُ والطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ) متفق عليه.
ومن أسباب حفظ الأمن: نشرُ العلمِ الشرعيِّ، قال ابنُ القيم: (فَمَا خَرَابُ الْعَالَمِ إِلَّا بِالْجَهْلِ، وَلَا عِمَارَتُهُ إِلَّا بِالْعِلْمِ، وَإِذَا ظَهَرَ الْعِلْمُ فِي بَلَدٍ أَوْ مَحَلَّةٍ قَلَّ الشَّرُّ فِي أَهْلِهَا، وَإِذَا خَفَى الْعِلْمُ هُنَاكَ ظَهَرَ الشَّرُّ وَالْفَسَادُ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَذَا فَهُوَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا) انتهى.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ: الدَّعْوَةُ إِلَى الاجْتِمَاعِ وَالِاتِّتِلَافِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ، وَأَسَاسُ الاجْتِمَاعِ: الاعتصام بكتاب الله وسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وَالْمَرَادُ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ: التَّمَسُّكُ بِالْحَقِّ، وَمِنْ لُزُومِ الْجَمَاعَةِ: الاجْتِمَاعُ عَلَى وِلَاةِ الْأُمُورِ، فَعَنِ (النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ فَقَالَ: «الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفِرْقَةُ عَذَابٌ»)) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَقَالَ حَذِيفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخْنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَفَّهُمْ لَنَا؟ قَالَ: «هُمْ مِنْ جُلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ: فَمَا تُأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعْصُ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»)) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَتَوْحِيدُ الْكَلِمَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، وَإِذَا لَمْ تَجْتَمِعِ الْأُمَّةُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَمَأْلُهَا إِلَى الزَّوَالِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فِإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ»)) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.